صاحب الأدب الأصيل

أحمد فرح عقيلان

العلم الذي تترجم السطور التالية لحياته إمام من أئمة الأدب الأصيل..

نحن هنا أمام نهج فريد، يندر من يلتزمه في عصر طغت فيه المجاملات، وفشا بين الناس الرياء والعناية بالمظاهر دون غيرها.

بقلم: عبد العزيز بن صالح العسكر
السعودية

نسبه ومولده ونشأته

هو أحمد بن محمد فرح بن عيد بن عقيلان، ولد في بلدة الفالوجة، في جنوب فلسطين سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م. وفي الرابعة من عمره توفي والده؛ وكان شيخاً أزهرياً، ذهب للدراسة في الأزهر في عام ١٩١٢م وتوفي وسنه دون الأربعين.

كان لأمه دور كبير في صلاحه واستقامته وطلبه للعلم؛ فقد وجهته للمدرسة في البلدة، حتى أكمل المرحلة الابتدائية وهي خمس سنوات، ثم ارتحل إلى مدينة المجدل حيث واصل تعليمه المتوسط، ثم واصل تعليمه الثانوي في مدينة غزة، وينقل الشيخ - رحمه الله - أن أمه كانت تذهب معه إلى محطة السيارات تودعه، ويقول: "أراها تدير وجهها حتى لا أرى دموعها فتؤثر على دراستي".

وفي القدس واصل تعليمه الجامعي حيث تخرج في الكلية الرشيدية عام ١٣٦٦هـ ، وهكذا كانت نشأة الشيخ ودراسته في زمن فقر وكرب توالت على الأمة الإسلامية وخصوصاً في فلسطين، ولكنه - بحفظ الله له وعونه وتوفيقه - نشأ نشأة صلاح وتقوى وإيمان، فلم تزده الشدائد إلا ثباتاً وجداً وقوة عزيمة على نيل المعالي.

حياته العملية

عُين بعد تخرجه مدرساً في مدينة البيرة بالضفة الغربية وهي مجاورة لمدينة رام الله، ثم تنقل في عدة مدن فلسطينية وهو يشتغل في التعليم. واستقر أخيراً في بلدته الفالوجة إلى أن سقطت في أيدي اليهود في عام ١٩٤٨م. فهاجر مع أمه إلى مدينة غزة، وعين مدرساً في ثانوية خان يونس للبنين بـ"قطاع غزة"، وفي تلك الفترة تعرض لكيدة ووشاية كان من نتيجتها أن أُجبر على العمل بمدرسة الزهراء الثانوية للبنات عام ١٩٥٢م. فاستجاب للقرار مجبراً بعد أن تظلم ولم يجد من يستمع له.. وكان قطاع غزة في ذلك الحين تحت الإدارة المصرية، وقد لقي من العنت والحرج في تدريس البنات ما حمله على إرسال خطاب إلى مدير التعليم الذي طلب مقابلته، وحينما التقيا رفع عقيلان تظلمه وشكواه للمدير الذي أوصله للشرطة للتحقيق معه وعقابه، ولكن الله سلّم وخرج الشيخ من هذه المحنة سليماً ونُقل عن مدرسة البنات.

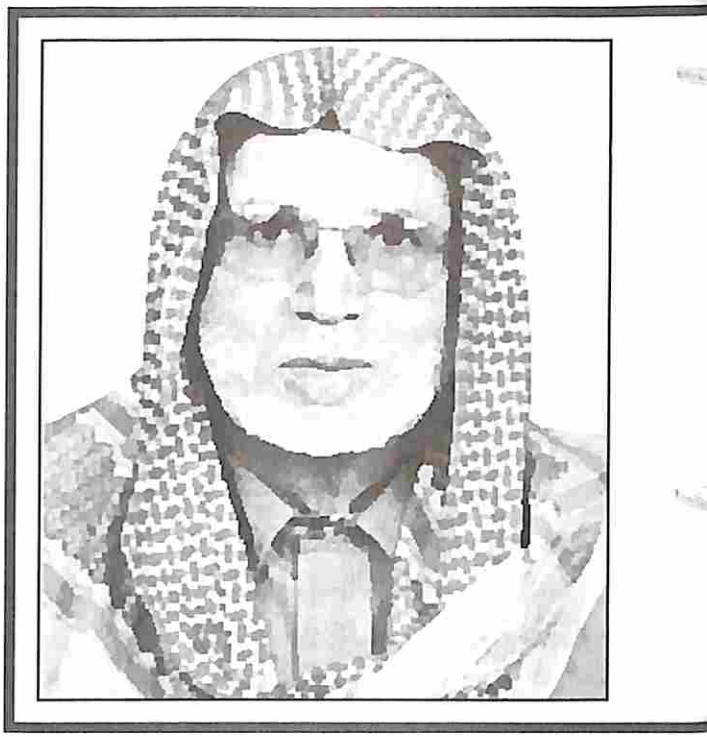

حينما دخل اليهود قطاع غزة قتلوا من أهلها وسجنوا المئات، فسُجن الشيخ أسبوعاً ثم أخلي سبيله.

وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م تعاقد للعمل مدرساً في المملكة العربية السعودية حيث مكث في المدينة المنورة خمسة عشر يوماً، ثم انتقل إلى مدينة الرياض وعمل في معهد أنجال الملك سعود سابقاً (معهد العاصمة النموذجي) حالياً .فمكث معلماً فيه قرابة عشرين سنة. إلى أن انتقل للعمل في الرئاسة العامة لرعاية الشباب مستشاراً ثقافياً، وفي عام ١٣٩٩هـ كلف بالعمل مديراً لإدارة الأندية الأدبية في الرئاسة.واستمر فيها إلى أن أحيل على التقاعد في عام ١٤٠٨هـ.

وإلى جانب عمله في التعليم وفي الأندية الأدبية عمل إماماً وخطيباً، فقد عين في عام ١٣٩٩هـ إماماً وخطيباً في جامع الخيّال بحي النسيم وبجوار منزله في مدينة الرياض وبقي فيه حتى وفاته، حيث كان مسجده مصدر إشعاع ومنارة علم وفضل يصل نفعه إلى كل جيران المسجد ومرتاديه، فعلاوة على خطب الجمعة كانت الدروس قبل الصلاة والكلمات بعدها التي يقدمها تعالج موضوعات كثيرة وتحيي في النفوس معاني الخير والبر والإحسان.

هذه جوانب من أعماله، ولم يكن لطاقاته ومواهبه أن تقف عندها، ثم إن الأمة تعلق على مثله آمالاً كباراً فمنابر التوجيه كثيرة وهي تنتظر العلماء والأدباء ليديروا دفتها ويتسنّموا ذروتها. ولهذا فقد كان للشيخ حضور مؤثر في ذلك الجانب فقد قدم للإذاعة برامج جيدة المبنى والمعنى، وكان منها أحاديث عامة ومنها برنامج على حلقات تناول فيه جوانب بطولية في حياة السلف، فكان المتابع لها يجد اللذة والمتعة في متابعتها من خلال صوت شجي جميل هو صوت الشيخ الذي يقدمها بنفسه. وقدمت تلك الحلقات في السنتين الأخيرتين من حياته واستمر تقديمها بعد موته في إذاعة القرآن الكريم.

وهناك برامج إذاعية أخرى أهمها: من أحاديث الأحكام ومن لطائف التفسير.

أما في مجال الصحافة فقد كانت له مشاركات صحفية بقصائد شعرية ومقالات نثرية، وبدأ مشوار الكتابة منذ وصل إلى المملكة العربية السعودية ولمع نجمه في التعليم، فكتب مقالات أدبية وتاريخية وغيرها، ومن أشهر ما كتب سلسلة حلقات أسبوعية نشرت في "مجلة الشرق" في عامي ١٤٠٩و١٤١٠هـ بعنوان: (من أعلام الهدى) تناول فيها عدداً من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

شعره

الشيخ أحمد فرح عقيلان - رحمه الله - شاعر مجيد نظم الشعر في وقت مبكر من حياته، ويمتاز شعره بالسهولة والوضوح، وكان شعره في الغالب صدى لما يمر به من ظروف ومشكلات، وأصدق وصف له أن يقال إنه سجل حياته العلمية والعملية والمتنفس الذي من خلاله يبث شجونه وخواطره. ولهذا فقد كانت ألفاظه من السهل الممتنع، فهو يخاطب العامة والخاصة، ويحرص على أن تبلغ المعاني التي يريدها مبلغها، وتؤثر في المسامع بأقرب طريق وأيسر مؤونة، فلم يختر الألفاظ الجزلة، ولم يحرص على الخيال والرمزية والمحسنات التي لا يدركها إلا أصحاب التخصص.

أما أغراضه الشعرية فتكاد تنحصر في: مدح الجهاد والمجاهدين، وكان هذا الغرض من ألصق الأغراض بنفسه وأعمقها في فؤاده لأنه مسلم سلبت أرضه وغزاها العدو اليهودي، فسلب المال ودنس

الكرامة والمقدسات. ومن أغراضه الشعرية القضايا الاجتماعية فهو يبين فضل العلم والتعليم، ويحث على بر الوالدين وصلة الأرحام وأغراض أخرى.

وتبين النماذج التالية الصورة الحقيقية لشعره في: أغراضه وألفاظه ومعانيه؛ ففي قصيدة بعنوان:(قصتنا مع الصليبية) يقول:

شنت على الإسلام أخبث حملة متعفنةْ
وتسترت بصليبها تخفي نوايا القرصنةْ
ومضت سنابكها تخوِّض في الدماء المؤمنةْ
فاسأل صلاح الدين إذ ركعت له في مسكنةْ
فأبت عليه سماحة الإسلام إهراق الدماء[1]

وفي قصيدة بعنوان (شباب وخنافس) يقول:

ليس الشباب أنوثة ونعومة
خلق الشباب مكافحين جنوداً
تعس الذي يبغي الكرامة قاعداً
إن الكرامة لا تحب بليداً
لهفي على ابن الأكرمين مخنفساً
رخصاً يسابق في الدلال الغيدا
الشعر منسدل على أكتافه
يتسلح الأمشاط لا البارودا
بسوالفٍ وسلاسلٍ وأظافرٍ
يعصي الإله لكي يطيع يهودًا
الخصم يغزو بالسموم عقولنا
لنظل للفكر الدخيل عبيداً [2]

وفي قصيدة بعنوان (لمن أغني) يقول:

قالوا هجرت ربوع الشعر والأدب
وأوحشت دارنا من لحنك الطربِ
فقلت ماذا أغني والعدو على
مقدساتي وبستاني وقبر أبي
ينبحون ذرارينا فننبحهم
بالاحتجاج وبالشكوى وبالخطب
حي الفداء يعطي من قنابله
درساً يطيح بهم رأساً على عقبِ
ليس الذي يمهر العلياء من دمه
مثل الذي يمهر الصهباء بالذهب[3]

في النماذج السابقة نرى روح الجهاد هي الدافع الأول له، وهي مفتاح شاعريته، لذلك لا ينسى أن يشير إليه في كل ما يقول، أما ألفاظه فهي- كما رأيت - سهلة ممتنعة، واضحة تبلغ في نفس السامع مبلغها أياً كانت قدرته العقلية وخبرته بالشعر، ومهما كان مقدار تذوقه للشعر وفهمه له، وهي كذلك خالية من المحسنات اللفظية والمعنوية والاستعارات لأن المقام لا يتسع لها ولا يستدعي وجودها .. ولا ينسى عقيلان وهو المربي والمعلم أن يمتدح هذه المهنة ويبين مكانة أهلها وحقوقهم، فينظم في ذلك قصيدة من غرر قصائده وأجودها ومنها قوله:

حيِّ المعلم شامخاً بجهاده
يعرى ويكسو الكون من أمجادهِ
ظمآن تورده الحياة سرابها
والجيل كل الجيل من ورادهِ
تلقاه طول العمر يغرس جوهراً
ومرارة الحرمان كل حصادهِ
متواضع في غرفة مغمورة
ومواكب العظماء من أولادهِ
وتموج أكداس الدفاتر حوله
شوهاء كالأغوال حول وسادهِ
قالوا عن التعليم حرفة مفلس
قعدت به النكسات عن أنداده
ونسوا بأن الله علم آدماً
جل الإله معلماً لعبادهِ
والأنبياء معلمون، تراثهم
علم شفى الإنسان من إلحاده[4]

إن الشاعر في نظر الشيخ أحمد فرح عقيلان صاحب رسالة ولذلك ينبغي له ألا يغفل عن رسالته وهو ينظم قصائده مهما كان الغرض الذي ينظم فيه .. وقد التزم هذا المنهج ولم يضمن ديوانيه اللذين طبعا في حياته إلا قصائداً تبني ولا تهدم، وتصلح ولا تفسد يقول في ذلك:

"قد تأخرت كثيراً في نشر شعري لأني لا أحب أن أنشد كلمة واحدة يكتبها ملك السيئات، ولأني كنت أنظم القصيدة في يومي وربما أندم عليها في غدي حين تزول الملابسة وتتلاشى المناسبة ...." [5].

مؤلفاته وآثاره العلمية:

طبع له أربعة كتب وثلاثة دواوين شعر وهي:

جرح الإباء: ديوانه الأول وقد نشره نادي المدينة المنورة الأدبي ولم يوضع عليه تاريخ الطبعة.

رسالة إلى ليلى: ديوانه الثاني وقد نشره نادي المدينة المنورة الأدبي كذلك ط١ سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

لا يأس: ديوان شعر طبع بعد وفاة المؤلف. ط١- ١٤١٩هـ نشرته مكتبة الأديب بالرياض.

وقد جمعت الدواوين الثلاثة في مجلد واحد تحت اسم الأعمال الكاملة .

جناية الشعر الحر: كتابه النثري الأول وقد جاء هذا الكتاب صدى لمعركة قوية بين تيارين: تيار ثائر يدعو إلى التحرر من (قيود) الوزن والقافية في الشعر العربي ويقلد الآداب الغربية والشرقية بلا حدود. وتيار آخر يدعو للمحافظة على الضوابط التي يمتاز بها الأدب العربي عن غيرها والتي بها يبقى له تفوقه وجماله وتأثيره. وفي هذا الكتاب ينتصر الشيخ للشعر العربي الموزون المقفى ويبين الآثار السيئة التي تحصل إن فرط في الوزن والقافية، وطغى الشعر الحر على الموزون.

وقد تولى نشر الكتاب نادي أبها الأدبي وخرجت طبعته الأولى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، في ١١٥ صفحة من القطع المتوسط.

بين الأصالة والحداثة. نقد ومختارات: وموضوعه موضوع سابقه. إلا أنه عام لفنون الأدب جميعها ومقارنة بين تيار الحداثة وتيار الأصالة وأهداف كل منهما وأبرز أعلامهما.

وقد خرج الكتاب ضمن مطبوعات نادي الطائف الأدبي وكانت الطبعة الأولى في عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، وعدد صفحاته ١٠٥ من القطع الكبير.

أبطال ومواقف: وهذا الكتاب كان في أصله برنامج إذاعي قدم على حلقات في إذاعة القرآن الكريم بعنوان "مواقف بطولية". ثم طبع سنة ١٤١٤هـ. وخرجت طبعته الثانية سنة ١٤١٨هـ في دار المعراج الدولية في الرياض، ويضم ١١٠ مواقف.

من لطائف التفسير: طبع في ثلاثة مجلدات بعد وفاة المؤلف ط١ - ١٤١٩هـ وكان الشيخ - رحمه الله - قد أنهى مراجعته قبل وفاته بأربعة أيام. وقد نشرته دار اليقين بمصر، كما أن هناك كتباً أخرى مخطوطة يسعى الورثة في تهيئتها للنشر وطبعها بإذن الله تعالى.

- وقدم الباحث صالح بن عبدالله التويجري رسالة ماجستير بعنوان : أحمد فرح عقيلان حياته وأدبه . نوقشت في كلية اللغة العربية بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١١ محرم ١٤٢٢هـ

وفاته:

ما نرجوه للشيخ ويرجوه كل محب له أن يكون قد ختم له بخير وأن يكون ذلك عاجل بشرى الله - سبحانه وتعالى - له بالرحمة والمغفرة.

فقد خرج من منزله مع أذان العشاء في يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر شوال عام سبعة عشر وأربعمئة وألف من الهجرة متوجهاً لمسجده، ودخل المسجد، ثم أدى تحية المسجد، ثم قدم درساً قبل الصلاة في صلة الرحم وكفالة اليتيم، ثم اختتم درسه، وأقيمت الصلاة، وكبر إماماً فأحس في الركعة الثانية بالتعب فقرأ سورة الإخلاص ثم أتم الصلاة على عجل وسلم منها، ثم قام من مقعده وكان قريباً منه أحد أبنائه فأمسكه وذهب به للسيارة، حيث توفي بعد أن ركبها وإصبعه ممدودة بالشهادة - حسب ما أفاد به من رآه - وقد صلي عليه ودفن عصر الخميس، وحضر جنازته آلاف من محبيه ومعارفه وغيرهم. نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يقبل سعيه ويغفر زلته، ويرفع درجته إنه سميع مجيب. ■

الهوامش:

(١) ديوان: رسالة إلى ليلى ص ٢٥-٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ص٥٦-٥٧-٥٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٥-٨٧ .
(٤) ديوان: جرح الإباء ص٤٣-٤٤ .
(٥) مقدمة ديوانه جرح الإباء ص٥ .